

القُدوري البغدادي

أبو الحسين أحمد بن محمد الحنفي (362 هـ - 428 هـ)

سيرته وعصره وآثاره الفكرية

أ.د. عدنان علي الفراجي

الجامعة العراقية / كلية التربية

مستخلص:

يُعد الإمام القدوري البغدادي عالماً بارزاً من أعلام بغداد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس الهجري . وقد أثنى العلماء على مكانته العلمية ؛ إذ كان فقيهاً صدوقاً، انتهت إليه بالعراق رئاسة أصحاب أبي حنيفة - رحمهم الله - وعظم عندهم قدره وارتفع جاهه . وقد نشطت الحركة الفكرية في عصره؛ ويشهد لذلك عديد العلماء الذين ظهوروا وتوفوا في هذه الحقبة .

وكانت له جهود علمية وفكرية قيمة تمثلت في كتبه التي حظيت باهتمام الأوساط العلمية، فقد اعتمد تدريس كتابه المختصر في الفقه الحنفي في العديد من المناهج الدراسية في المؤسسات العلمية والدينية في العالم الإسلامي، كما اعتمد في بعض الاختبارات للمتقدمين للعمل في الأوساط الدينية .
الكلمات المفتاحية: القدوري، البغدادي، الحنفي، سيرة ، اثار فكرية .

Abstract:

Imam al-Quduri al-Baghdadi was considered a prominent flag of Baghdad in the second half of the fourth century AH, and the first half of the fifth century AH. Scientists have praised his scientific standing. As her jurist was a truthful person, the leadership of the companions of Abu Hanifa - may God have mercy on them - ended up to him in Iraq, and he magnified his destiny with them and raised his status. The intellectual movement was active in his era. And many scholars who appeared and died in this era attest to this.

And he had valuable scientific and intellectual efforts exemplified in his books that received the attention of the scientific community. The teaching of his concise book on Hanafi jurisprudence was adopted in many academic curricula in the scientific and religious institutions in the Islamic world, and it was also adopted in some tests for applicants to work in religious circles.

Keywords: Al-Qadduri, Al-Baghdadi, Al-Hanafi, biography, intellectual monuments .

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :
فإن من دواعي الفخر والاعتزاز أن يكون بحثي هذا الموسوم: (الْقُدُورِيُّ الْبَغْدَادِيُّ (362 هـ - 428 هـ) سيرته وعصره وآثاره الفكرية)، ضمن بحوث مجلتكم الغراء، آملي أن يكون وافياً بمقصوده، نافعاً لمن أراد الوقوف على حيثياته .

أهمية البحث وسبب اختياره: يحظى الإمام الْقُدُورِيُّ الْبَغْدَادِيُّ بمكانة متميزة في الأوساط العلمية ، ويدخل تدريس كتابه المختصر في الفقه الحنفي في العديد من المناهج الدراسية في المؤسسات العلمية والدينية في العالم الإسلامي، كما يدخل في بعض الاختبارات للمتقدمين للعمل في الأوساط الدينية .

هدف البحث : يهدف البحث إلى التعريف بسيرة الإمام القدوري، وبيان مكانته العلمية ، وما تركه من جهود وآثار في الفقه الإسلامي وغيرها من العلوم .

منهج البحث: تعتمد طريقة البحث على المنهج الموضوعي، فقد ضمت المادة العلمية تناول كل مفردة من البحث ، والوقوف على معلوماتها بشيء من التفصيل .

خطة البحث ونطاقه: انتظم البحث في هذه المقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة فضلاً عن قائمة المصادر والمراجع .

في المبحث الأول: تم الحديث عن سيرة حياة القدوري في نقاط شملت: اسمه ونسبه، ولادته، أسرته، شيوخه وطلبه للعلم، تلامذته، مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه، مؤلفاته، ووفاته .

والمبحث الثاني: تناول عصر الإمام الْقُدُورِيُّ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والفكري .

وأما المبحث الثالث: فقد خُصص للحديث عن آثار الْقُدُورِيِّ الفكرية .

ندعو الله تعالى أن يكمل جهود القائمين على هذه المجلة بالتوفيق والنجاح، خدمة للمسيرة العلمية في بلدنا العزيز .
والحمد لله أولاً وآخراً

المبحث الأول : حياته وسيرته

أولاً:- أسمه ونسبه : هو أبو الحسين أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن حمدان الفقيه المعروف بِالْقُدُورِيِّ، من أهل بغداد⁽¹⁾.

وَالْقُدُورِيُّ : بضم القاف والdal المهملة والراء بعد الواو، هذه النسبة إلى الْقُدُور، واشتهر بهذه النسبة⁽²⁾.

ثانياً:- ولادته: ذكر العلماء الذين ترجموا لِلْقُدُورِيِّ أنه ولد عام 362 هـ، فمما قاله الخطيب البغدادي⁽³⁾: «سمعت أبا بشر محمد بن عمر الوكيل وأبا القاسم التنوخي القاضي يذكران أن مولد الْقُدُورِيِّ في سنة

(1) ترجمته في : تاريخ بغداد، أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي (ت463 هـ)، تحقيق: مصطفى عبدالقادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ ، 4 / 377 .
الأنساب، عبد الكريم بن محمد السمعاني (ت: 562 هـ)، تحقيق: عبد الرحمن المعلمي وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد، ط1، 1382 هـ - 1962 م، 10 / 352 .
وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد ابن خلكان، (ت: 681 هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، 1 / 78-79 .
الجواهر المضية في طبقات الحنفية، محيي الدين عبد القادر بن محمد القرشي الحنفي (ت: 775 هـ)، مير محمد كتب خانة - كراتشي، بلا. ت. ص 93 .
تاج التراجم، أبو الفداء قاسم بن قُطُوبغا الشيوخوني الحنفي (ت: 879 هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان، دار القلم - دمشق، ط1، 1413 هـ 1992 م، ص 98 .
وغيرها.

(2) السمعاني، الأنساب، 10 / 352 .

(3) الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، 4 / 377 .

2- الخطيب البغدادي ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463 هـ) ، قال ابن خلكان (6) : «وروى عنه أبو

بكر الخطيب صاحب التاريخ» .

3- أبو نصر الأقطع (ت 474 هـ) ، أحمد بن محمد الفقيه الحنفي البغدادي ؛ «درس الفقه على أبي الحسين ابن القدوري حتى برع فيه ... أقام برام هرْمَز وشرح مختصر القدوري شرحاً حسناً وكان يدرس هناك إلى أن توفي سنة أربع وسبعين وأربعمئة» (7) .

4- أبو عبد الله الدامغاني (ت 478 هـ) : محمد بن علي بن محمد ، الحنفي ، قال الخطيب البغدادي (8) : «سكن بغداد ودرس بها فقه أبي حنيفة على أبي الحسين القدوري ، ... ولي قضاء القضاة .. في ذي القعدة من سنة سبع وأربعين وأربعمئة وكان عفيفاً وانتهت إليه الرياسة في مذهب العراقيين وكان وافر العقل كامل الفضل مكرماً لأهل العلم عارفاً بمقادير الناس سديد الرأي» . توفي في رجب عام 478 هـ (9) .

5- مسعود بن عبد العزيز (ت: 485 هـ) : قال عنه الذهبي (10) : «أبو ثابت ابن السّمّاك الرّازي الفقيه الحنفي . قدم بغداد فتفقه بها على أبي عبد الله الصّيمري ، وأبي الحسين القدوري ، ثم على قاضي القضاة أبي عبد الله . وبرع في المذهب والخلاف .

(6) وفيات الأعيان ، 79/1 . وينظر: الوافي بالوفيات ، الصفدي ، 209/7 .

(7) الوافي بالوفيات ، الصفدي ، 78/8 .

(8) تاريخ بغداد ، 109/3 . وينظر: الذهبي ، العبر في خبر من غبر ، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت: 748 هـ) ، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول ، دار الكتب العلمية - بيروت ، بلا . ت . 339/2 .

(9) يُنظر: العبر ، الذهبي ، 339/2 . البداية والنهاية ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي (ت: 774 هـ) ، تحقيق: علي شيري ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ط 1 ، 1408 هـ - 1988 م ، 159/12 .

(10) تاريخ الإسلام ، الذهبي ، 552/10 .

اثنين وستين وثلاثمئة» . وقال ابن قُطُوبغا (1) إنه «ولد سنة اثنين وستين وثلاثمئة» .

ثالثاً: - أسرته: لم يذكر الذين ترجعوا له عن أسرته إلا النزر اليسير ، فمثلاً أورد القرشي (2) أن له ابناً واحداً اسمه (محمد) فقال: «كان له ابن فلم يعلمه الفقه وكان يقول دعوه يعيش لروحه قال فمات وهو شاب ...» .

رابعاً: شيوخه وطلبه للعلم : أخذ القدوري العلم في بغداد على العديد من العلماء الأعلام منهم :

1- عبيد الله بن محمد بن أحمد الحوشبي : «سمع منه القدوري الحديث ... وكان الحوشبي ثباتاً مستوراً ... ثقة أميناً . وُلد في سنة أربع وتسعين ومائتين ... ومات في سنة خمس وسبعين وثلاثمئة» (3) .

2- مُحَمَّد بن يحيى بن مهدي الجُرْجَانِي أَبُو عبد الله الْفَقِيهِ الْحَنْفِي : «قَرَأَ الْفَقْهَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ الرَّازِي حَتَّى بَرَعَ فِيهِ وَعَلَيْهِ تَفَقَّهَ أَبُو الْحُسَيْنِ ابْنُ الْقَدُورِيِّ ... ذكره الْخَطِيبُ أَبُو بَكْرٍ فِي التَّارِيخِ ... تُوُفِّيَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَتِسْعِينَ وَثَلَاثَ مِائَةٍ» (4) .

خامساً: تلامذته : تتلمذ على العلامة القدوري عدد من العلماء الأعلام ، منهم :

1- مفضل بن محمد بن مسعر أبو المحاسن ، المعروف ب (القاضي التُّنُوحِي) : (ت 440 هـ) . قال الذهبي (5) :

«رحل إلى بغداد وسمع من أبي عمر بن مهدي ، وغيره ، وتفقه على القدوري» .

(1) تاج التراجم ، ابن قُطُوبغا ، ص 98 .

(2) الجواهر المضية ، القرشي ، ص 93 .

(3) تاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي ، 361/10 .

(4) الوافي بالوفيات ، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (ت: 764 هـ) ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث - بيروت ، 1420 هـ - 2000 م ، 136/5 . وينظر: الجواهر المضية ، القرشي ، ص 93 .

(5) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام ، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت: 748 هـ) ، تحقيق: د. بشار عواد معروف ، دار الغرب الإسلامي ، ط 1 ، 2003 م ، 603/9 .

وكان لأبي حامد الإسفراييني مكانة جليلة عند القدوري، فقد كَانَ يعظمه ويفضله على كل أحد وهو القائل فيه: «ما رأينا في الشافعيين أفقه من أبي حامد»⁽⁵⁾.
سابعاً: مؤلفاته : كان القدوري من أهل التأليف والتصنيف ، فقد أورد العلماء عدداً من كتبه ومؤلفاته، وهذه قائمتها كما يوردها ابن قُطلوبغا⁽⁶⁾:

- 1- المختصر (في الفقه الحنفي) .
- 2- شرح «مختصر» الكرخي .
- 3- كتاب «التجريد» في سبعة أسفار، يشتمل على الخلاف بين الشافعي وأبي حنيفة وأصحابه؛ شرع في إملائه سنة خمس وأربعمئة .
- 4- كتاب «التقريب» في مسائل الخلاف بين أبي حنيفة وأصحابه مجرداً عن الدلائل .
- 5- كتاب «التقريب» الثاني ذكر فيه المسائل بأدلتها .
- 6- وله «جزء حديثي» .

ثامناً: وفاته : توفي القُدُوري يوم الأحد الخامس من رجب سنة ثمان وعشرين وأربعمئة ببغداد ، ودفن من يومه بداره في درب أبي خلف، ثم نقل إلى تربة في شارع المنصور، ودفن هناك بجانب أبي بكر الخوارزمي الفقيه الحنفي (رحمهما الله تعالى)⁽⁷⁾. وعند الذهبي⁽⁸⁾ أن عمره يوم مات كان ست وستون سنة ، رحمه الله.

المبحث الثاني : عصره الذي عاش فيه

في هذا المبحث سنتناول أهم جوانب عصر القُدُوري الذي عاش فيه في مدينة بغداد، وهي: السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فضلاً عن الجانب الفكري والعلمي، وذلك بشيء من التركيز، وكالاتي :

- (5) طبقات الشافعية، ابن الصلاح، 1/ 374 .
- (6) تاج التراجم، ص 99 .
- (7) يُنظر عن وفاته : وفيات الأعيان ، ابن خلكان ، 1/ 79 .
- العبر، الذهبي، 2/ 258 . الجواهر المضية، القرشي، ص 93 .
- (8) العبر، الذهبي، 2/ 258 .

وأفتى ودرّس، ونُفِّذ رسولاً من الديوان إلى صاحب غَزَنَة، فأدركه أَجَلُهُ بِخُرَاسَان في شعبان « من سنة 485 هـ .

سادساً: مكانته العلمية وأقوال العلماء فيه : بلغ القُدُوري مكانة علمية كبيرة، ومنزلة رفيعة، فأجلّه العلماء والعوام، وأثنى العلماء على مكانته التي بلغها؛ ومما قالوا فيه : «كان فقيها صدوقاً، ومن أنجب في الفقه لذكائه وحفظه، وانتهت إليه بالعراق رئاسة أصحاب أبي حنيفة- رحمهم الله- وعظم عندهم قدره وارتفع جاهه، وكان حسن العبارة في النظر، جرىء اللسان، مديها لتلاوة القرآن»⁽¹⁾ .

ومن مكانة القُدُوري العلمية المناظرات التي جرت بينه وبين بعض العلماء الأعلام، منهم: أبو حامد الإسفراييني: أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدَ أَبُو حَامِدِ الْفَقِيهِ الْإِسْفَرَايِينِي، وُلِدَ فِي إِسْفَرَايِينَ سنة أربع وأربعين وثلاث مائة، وقدم بغداد في سنة أربع وستين وثلاث مائة⁽²⁾. كان أبو حامد الإسفراييني «مشغولاً بالعلم حتى صار أوحده وقته، وانتهت إليه الرياسة، وعظم جاهه عند الملوك والعوام...»⁽³⁾. أما عن مناظرة القُدُوري للإسفراييني ، فقد ذكر غير واحد من العلماء أن القُدُوري «كان يناظر الشيخ أبا حامد الإسفراييني الفقيه الشافعي، ويبالغ في تعظيمه»⁽⁴⁾.

- (1) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 4/ 377 .
- (2) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 6/ 20 . طبقات الفقهاء الشافعية، ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، (ت: 643 هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط1، 1992 م، 1/ 374 .
- (3) تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي، 6/ 20 .
- (4) شذرات الذهب في أخبار من ذهب، عبد الحي بن أحمد ابن العماد الحنبلي، أبو الفلاح (ت: 1089 هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1406 هـ - 1986 م، 5/ 132 . ويُنظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، 7/ 209 .

خطوط القضاة والأئمة والأشرف بما عندهم من العلم والمعرفة بنسب الديصانية، وهم منسوبون إلى ديصان بن سعيد الحُرَمي... شهادة يُتَقَرَّبُ بها إلى الله . ومعتقد ما أوجب الله تعالى على العلماء أن يبينوه للناس . شهدوا جميعاً أن الناجم بمصر وهو منصور بن نزار الملقب بالحاكم ابن معد بن إسماعيل بن عبد الرحمن بن سعيد... أنهم لا نسب لهم في ولد علي بن أبي طالب عليه السلام. وأن ذلك باطل وزور. وأنتم لا تعلمون أن أحداً من الطالبين توقف عن إطلاق القول في هؤلاء الخوارج أنهم أديعاء.... وكتب خلق كثير في المحضر منهم الشريف الرضي، والشريف المرتضي أخوه،... والقاضي أبو محمد عبد الله بن الأكفاني، والقاضي أبو محمد أبو القاسم الجُزري، والإمام أبو حامد الإسفرائيني، والفقيه أبو الحسين القدوري الحنفي...»⁽³⁾.

أما الحالة السياسة العامة في بغداد وما جاورها؛ فقد كان هذا العهد مضطرباً سياسياً. وكان أمراء بني بويه يسيطرون على مقدرات الحكم، ويبدون السلطة، وكانوا يضايقون على الخلفاء، يقول ابن خلدون⁽⁴⁾: «واستبد بنو بويه والدَّيلم بدولة الإسلام وحجروا الخلافة».

ويقول أحد الباحثين: «كانوا يتحكمون في الخلفاء العباسيين ويهينونهم، ويعينونهم ويخلعونهم كيفما شاءوا!». ولم يبق للخلفاء معهم نفوذ ولا سلطان وذهبت هيبة الخلافة طيلة هذا العهد⁽⁵⁾. ومن أمثلة

(3) تاريخ الإسلام، الذهبي، 9/ 10. وينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، 19/ 243.

(4) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر... (تاريخ ابن خلدون)، عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون الحضرمي الإشبيلي (ت: 808هـ) تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط 2، 1408 هـ - 1988 م، 1/ 369.

(5) موجز التاريخ.. منذ عهد آدم عليه السلام... إلى عصرنا

أولاً: - الجانب السياسي: عاصر القدوري ثلاثة من خلفاء الدولة العباسية وهم:

1- الطائع لله، أبو بكر عبد الكريم بن المطيع لله (من 363 - 381 هـ): نزل له أبوه عن الخلافة وعمره ثلاث وأربعون سنة...

2- القادر بالله أبو العباس أحمد ابن إسحاق بن المقتدر (من 422-381 هـ).

3- القائم بأمر الله أبو جعفر عبد الله بن القادر بالله (من 467-422 هـ).

وكانت علاقة القدوري بالخلافة العباسية وطيدة جداً، ومن أدلة ذلك:

1- أن الخليفة القادر بالله العباسي (ت: 422 هـ)، طلب من فقهاء عصره ومنهم القدوري، أن يضعوا في مذاهبهم الفقهية كتباً مختصرة تكون مرجعاً للمذهب، قال الصفدي⁽¹⁾: «وَكَانَ الْقَادِرُ قَدْ تَقَدَّمَ إِلَى أَرْبَعَةٍ مِنَ الْأَئِمَّةِ فِي الْمَذَاهِبِ الْأَرْبَعَةِ لِيَضَعَ كُلَّ وَاحِدٍ مُحْتَصِراً فِي الْفِقْهِ فَوَضَعَ الْمَأُورِدِيُّ الْإِفْتِنَاعَ وَوَضَعَ الْقُدُورِيُّ مُحْتَصِرَهُ وَوَضَعَ عَبْدُ الْوَهَّابِ الْمَالِكِيُّ مُحْتَصِرًا وَوَضَعَ مِنَ الْحَنَابِلَةِ وَاحِدًا مُحْتَصِرًا وَعُرِضَتْ عَلَيْهِ...».

1- في عام 402 هـ كتب محضر في بغداد بتوجيه من الخليفة القادر بالله، يقترح بنسب الفاطميين خلفاء مصر وفي عقائدهم وجاءت شهادة القدوري ضمن شهادات غيره من العلماء الطالبين وغيرهم، أشار إلى ذلك المحضر عدد من المؤرخين فقالوا: «وفي ربيع الآخر كُتِبَ مِنَ الدِّيَّانِ⁽²⁾ محضر في معنى الخلفاء الذين بمصر والقُدَح في أنسابهم وعقائدهم. وقُرِئَت النسخة ببغداد. وأُخِذَتْ فِيهَا

(1) الوافي بالوفيات، 21/ 298.

(2) يقصد بذلك ديوان الخليفة القادر بالله العباسي (ت: 422 هـ)، وقد أشار الذهبي إلى ذلك في: تاريخ الإسلام، 12/ 367.

391 هـ بمهاجمة دار علي بن طاهر الكاتب، يقول ابن مسكويه⁽⁴⁾: «كسبه العيارون في داره بدرج المقيرون... وضربوه عدة ضربات فاضت منها نفسه وأخذوا جميع ما وجدوه من ماله ورحله وانصرفوا». وفي حوادث سنة 427 هـ يقول ابن الجوزي⁽⁵⁾: «وفي ليلة الثلاثاء ثاني ربيع الآخر دخل العيارون البلد في مائة رجل من الأكراد والاعراب والسواد فاحرقوا دار ابن النسوي وفتحوا خانا واخذوا ما فيه وخرجوا».

وأما الفتن والحوادث؛ فمثال ذلك أنه في سنة 362 هـ - وهي سنة ولادة القدوري -، حدثت فتنة في بغداد ووقع حريق عظيم بالكرخ «وَسَبَبَ ذَلِكَ أَنَّ صَاحِبَ الْمُعُونَةِ قَتَلَ عَامِيًّا، فَثَارَ بِهِ الْعَامَةُ وَالْأَتْرَاكُ، فَهَرَبَ وَدَخَلَ دَارَ بَعْضِ الْأَتْرَاكِ، فَأُخْرِجَ مِنْهَا مَسْحُوبًا، وَقَتِلَ وَأُحْرِقَ، وَفُتِحَتِ السُّجُونُ فَأُخْرِجَ مَنْ فِيهَا... (واضرم النار) وَكَانَ عُدَّةً مَنْ احْتَرَقَ فِيهِ سَبْعَةُ عَشَرَ أَلْفَ إِنْسَانٍ، وَثَلَاثُمِائَةَ دُكَّانٍ، وَكَثِيرًا مِنَ الدُّورِ، وَثَلَاثَةَ وَثَلَاثِينَ مَسْجِدًا، وَمِنَ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُحْصَى»⁽⁶⁾.

ويقول ابن الأثير⁽⁷⁾ في حوادث سنة 381 هـ: «وفيها كثرت الفتن بين العامة ببغداد وزالت هيئة السلطنة وتكرر الحريق في المحال واستمر الفساد». وفي أخبار سنة 406 هـ يقول: «وَفِيهَا وَقَعَتْ فِتْنَةٌ بِبَغْدَادَ بَيْنَ أَهْلِ الْكَرْخِ وَبَيْنَ أَهْلِ بَابِ الشَّعِيرِ، وَنَهَبُوا الْقَلَائِينَ»⁽⁸⁾.

أفعالهم: أنه في سنة اثنتين وستين - وهي السنة التي ولد فيها القدوري - «صادر السلطان بختيار (البويهري) المطيع (الخليفة) فقال المطيع: أنا ليس لي غير الخطبة فإن أحببتم اعتزلت، فشدَّ عليه حتى باع قماشه،... وشاع في الألسنة أن الخليفة صُودر»⁽¹⁾.

وكان الصراع بين أمراء بني بويه على أشده في هذه الحقبة التاريخية.

فمن ذلك: أن عز الدولة بختيار كان في صراع مع ابن عمه عضد الدولة بن أبي شجاع... فتمكن الأخير من التخلص من عز الدولة (متولى السلطنة)... واشتمل ملكه على فارس وكرمان وخوزستان والعراق وديار ربيعة... ومات في سنة اثنتين وسبعين وثلاث مائة في خلافة الطائع»⁽²⁾. ومن ذلك أيضاً أنه «لَمَّا تُوفِّي شَرْفُ الدَّوْلَةِ، اضْطَرَبَ مُلُوكُ بَنِي بُوَيَّهِ، وَوَقَعَ الْخُلْفُ بَيْنَ صَمَّصَامِ الدَّوْلَةِ وَبَهَاءِ الدَّوْلَةِ... وَاقْتَتَلُوا... وَكَانَ هَذَا فِي الْمَحَرَّمِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَثَمَانِينَ وَثَلَاثُمِائَةٍ...»⁽³⁾.

ثانياً: أحوال بغداد الاجتماعية والاقتصادية: لم تكن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بغداد على ما يرام في هذه العصر، فقد كان على رأس القائمة الاجتماعية الأمراء والمتنفذين ومن يساندهم، ويعيش الغالبية حياة بسيطة. وقد كثرت الفتن والحوادث المؤسفة فيها، وبرزت فئات العيارين في المجتمع، وكانوا يتدخلون في الأحوال العامة للدولة، فعلى سبيل المثال: قاموا في سنة

(4) تجارب الأمم وتعاقب الهمم، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب مسكويه (ت: 421 هـ)، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، ط2، 2000 م، 7/ 462.

(5) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: 597 هـ)، دار صادر - بيروت، ط1، 1358 هـ، 8/ 88.

(6) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت: 630 هـ) تحقيق: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1417 هـ / 1997 م، 7/ 310.

(7) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 7/ 452.

(8) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 7/ 610.

الحاضر 1417 هـ / 96 - 97 م، أحمد معمور العسيري -

الرياض، ط1، 1417 هـ - 1996 م، ص229.

(1) تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي (ت: 911 هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1: 1425 هـ - 2004 م، ص290.

(2) الإنباء في تاريخ الخلفاء، ابن العمراني، محمد بن علي (ت: 580 هـ)، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1421 هـ - 2001 م، ص181.

(3) الكامل في التاريخ، ابن الأثير، 7/ 445.

وعملهم به ابتغاء مرضاة الله تعالى والآخرة، ويشهد على تطور الحالة الفكرية في هذا العصر كثرة من ظهر فيه من العلماء الأعلام، والمجالس العلمية والمناظرات، وكثرة الكتب والمؤلفات. ومن ينظر إلى قوائم وفيات العلماء في كتب التاريخ والتراجم التي اختصت بهذه الحقبة، يجد ذلك واضحاً بيناً.

وقد وقفت على قوائم العلماء الذين توفوا في هذا العصر، ووردت أسماؤهم لدى من ترجموا لهم أمثال: ابن الجوزي والذهبي وابن كثير وغيرهم، فوجدتهم بأعداد كثيرة جداً، أقف على من توفي سنة 402 هـ في خلافة القادر بالله - على سبيل المثال -: أحمد بن عبد الله ابن الخضر، اسماعيل بن الحسين أبو محمد البخاري الفقيه، الحسن بن الحسين ابن علي.. أبو محمد النوبختي، الحسن بن القاسم.. أبو علي الدباس، عثمان بن عيسى، علي بن أحمد أبو الحسن القاضي، محمد بن بكران بن المبارك أبو عبد الله البزاز، محمد بن جعفر.. أبو الحسن التميمي النحوي المعروف بابن النجار⁽³⁾.

المبحث الثالث : آثار القدوري الفكرية

ترك القدوري ثروة علمية وفكرية كبيرة، لا تزال محط اهتمام العلماء وطلبة العلم، ولأهمية هذا الموضوع فقد أفردنا له مبحثاً خاصاً ضمن هذا البحث نقف فيه على كتبه ومصنفاته بشيء من التفصيل، وكالاتي :
أولاً: مختصر القدوري: يُعد كتاب المختصر في الفقه الحنفي الذي ألفه القدوري من أهم كتبه وآثاره، وقد اهتم به عديد العلماء فأقدموا على شرحه ونظمه، ومن مكانة وأهمية هذا الكتاب ما أورده القرشي⁽⁴⁾:

(3) المنتظم، ابن الجوزي، 7/ 257-260. ويُنظر: الذهبي، العبر، 2/ 201 و 2/ 258. ابن كثير، البداية والنهاية، 4/ 12، 30-31، 12/ 49. وغيرها كثير.

(4) الجواهر المضوية، القرشي، ص 4.

وحدث أن عهدَ سلطان الدولة البويهية أمر بغداد لابن سهلان وكان على خلاف مع بعض الطامعين في السلطة، فكان ذلك من أسباب الفتن والاضطرابات، مما أثر على الأحوال الاجتماعية والاقتصادية في بغداد، فيورد ابن الأثير⁽¹⁾ في أخبار سنة 409 هـ، ما نصّه: «وَوَرَدَ عَلَيْهِ الْخَبَرُ بِاشْتِدَادِ الْفِتَنِ بِبَغْدَادَ، فَسَارَ إِلَيْهَا (أي ابن سهلان)، فَدَخَلَهَا أَوْ آخِرَ شَهْرِ رَبِيعِ الْآخِرِ، فَهَرَبَ مِنْهُ الْعِيَّارُونَ، وَنَفَى جَمَاعَةٌ مِنَ الْعَبَّاسِيِّينَ وَغَيْرِهِمْ، وَنَفَى أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ النُّعْمَانِ فَقِيهَ الشَّيْعَةِ، وَأَنْزَلَ الدَّيْلَمَ أَطْرَافَ الْكَرْخِ وَبَابَ الْبَصْرَةِ، وَلَمْ يَكُنْ قَبْلَ ذَلِكَ، فَفَعَلُوا مِنَ الْفَسَادِ مَا لَمْ يُشَاهَدْ مِثْلُهُ..».

وفي أخبار سنة 423 هـ في عهد جلال الدولة البويهية يورد ابن الجوزي⁽²⁾ ما نصّه: «وفي يوم الجمعة خمس خلون من صفر ثار أهل الكرخ بالعيارين وطلبوهم فهربوا فكبسوا دورهم ونهبوا سلاحهم وراسلوا السلطان ليعاونهم وكان سبب هذا الفعل ان العيارين دخلوا ليلاً على احد البزازين فأخذوا ماله فتعصب له أهل سوقه فرد العيارون بعض ما اخذوا ثم كبسوا في ليلة الاحد دار ابن الفلو الواعظ بدار القطن من نهر طابق فأخذوا ماله وما كان للناس عنده ومرواً على عاداتهم في الكبسات واختلط بهم في العملات مولد والأتراك وحواشيهم..».

وهكذا تتكرر الأحداث والفتن في المجتمع في بغداد في هذا العهد، مما أثرت سلباً على الجانبين الاجتماعي والاقتصادي.

ثالثاً: الأحوال العلمية والفكرية: لقد كانت الأحوال العلمية والفكرية على جانب كبير من الرقي والمكانة، عكس ما كان عليه الحال في الجوانب الأخرى، ومرجع ذلك - من وجهة نظرنا - يعود إلى تمسك الناس بالعلم

(1) الكامل في التاريخ، 7/ 650.

(2) المنتظم، ابن الجوزي، 8/ 62.

4- أحمد بن علي بن أحمد أبو العباس الشيباني الأصولي (ت 690 هـ): من تصانيفه مجمع البحرين في الفقه جمع فيه بين مختصر القدوري والمنظومة مع زوائد ورتبة فأحسن وأبدع في اختصاره وشرحه في مجلدين كبيرين⁽⁶⁾.

5- أبو بكر بن علي بن محمد الحدادي الزبيدي اليميني الحنفي (ت: 800 هـ): قام الحدادي بشرح مختصر القدوري تحت عنوان: (الجوهرة النيرة) فقال في مقدمته: «هذا شرح لمختصر القدوري جمعته بالفاظ مختصرة وعبارات ظاهرة تشمل على كثير من المعاني والمذاكرة أوضحته لذوي الأفهام القاصرة والهمم المتقاصرة وسميته (الجوهرة النيرة) واستعنت في ذلك بمن له الحمد في الأولى والآخرة سبحانه هو أهل التقوى وأهل المغفرة...»⁽⁷⁾.

6- يوسف بن عمر بن يوسف الصوفي: الكادوري البزار المعروف بـ (نيره) الحنفي شمس الدين. شرح مختصر القدوري (جامع المضممرات والمشكلات) وهو شيخ كبير وعالم نحير، جمع بين علمي الحقيقة والشرعية. قال اللكنوي في الفوائد: وهو شرح جامع للتفاريع الكثيرة، حاو على المسائل الغريبة. توفي رحمه الله سنة 832 هـ.

وقد طبع الكتاب طبعات عدة، منها: طبعة دار الكتب العلمية، تحقيق: كامل محمد محمد عويضة، الطبعة الأولى، بيروت، لبنان، 1418 هـ - 1997 م، (عدد الصفحات 255).

ثانياً: كتاب التجريد للقدوري: وهو الكتاب الثاني الذي يلي المختصر في الأهمية، ويُعدُّ الكتاب «أكبر موسوعة إسلامية في الفقه المقارن، فهو أول كتاب

صنّف من الكتب المختصر المشهور فنفع الله به خلقاً لا يحصون». وإلى اليوم يحظى هذا الكتاب باهتمام العلماء وطلبة العلم، ويجري عليه اختبار المتقدمين للإمامة والخطابة في المجالس العلمية لمن يتقدم لها في مساجد الوقف السني في العراق.

ونورد هنا بعضاً من العلماء وجهودهم في شرح ونظم كتاب المختصر للقدوري:

1- إبراهيم بن عبد الرزاق بن أبي بكر بن رزق الله بن خلف الرّسّعني أبو إسحاق عُرف بِأَبْنِ الْمُحَدِّث... قال القرشي⁽¹⁾: «وَكَانَ نَبِيهَا نَبِيلاً فَاضِلاً عَالِماً مُتَنَسِكاً وَرِعاً حَسَنَ الْأَخْلَاقِ، وَلَهُ مَنْظُومٌ وَمَنْثُورٌ وَشَرَحَ الْقُدُورِيَّ وَلَمْ يَتِمَّه». توفي الرسعني سنة خمس وسبعين وستمائة بدمشق ودفن بقاسيون⁽²⁾.

2- مُحَمَّدُ بْنُ مُصْطَفَى بْنِ زَكْرِيَاءَ الْمَعْرُوفِ بِـ (الدوركي الحنفي): قال الصفدي⁽³⁾: «مولده سنة إِحْدَى وَثَلَاثِينَ وَسِت مِائَةً بِدُورِك (ودورك بلد بالروم) كَانَ شَيْخاً فَاضِلاً عِنْدَهُ أَدَبٌ وَلَهُ نَظْمٌ وَنَثْرٌ، وَقَدْ نَظَّمَ الْقُدُورِيَّ فِي الْفِقْهِ نَظْماً فَصِيحاً سَهْلاً جَامِعاً».

3- مختار بن محمود بن محمد الزاهدي، المعروف بـ (الغزميني): قال الذهبي⁽⁴⁾: الشَّيْخُ الْعَلَّامَةُ نَجْمُ الدِّينِ أَبُو الرَّجَاءِ. [المتوفى: 658 هـ]، لَهُ التَّصَانِيفُ الْمَشْهُورَةُ الْمَقْبُولَةُ، مِنْهَا: «شرح القدوري». وعرف هذا الشرح باسم: المجتبى في شرح مختصر القدوري⁽⁵⁾.

(1) الجواهر المضية، القرشي، ص 41. ويُنظر: تاج التراجم، ابن قطلوبغا، ص 88.

(2) تاج التراجم، ابن قطلوبغا، ص 88.

(3) الوافي بالوفيات، 21/5.

(4) تاريخ الإسلام، 14/901.

(5) كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، (ت 1067)، دار الكتب العلمية، 1413 - 1992، 2/1592.

(6) الجواهر المضية، القرشي، ص 80.

(7) الجوهرة النيرة، الحدادي،...، المطبعة الخيرية، ط 1322، 1 هـ، ط 1322 هـ، ص 1.

- الطبعة الأولى: 1424 هـ / 2004 م. 12 مجلد، 6576 صفحة .
- الطبعة الثانية: 1427 هـ - 2006 م، عدد الأجزاء: 12 أيضاً .

ثالثاً: شرح مختصر الكرخي: والكتاب الثالث والمهم للقدوري هو شرح كتاب مختصر الكرخي، ومختصر الكرخي في فروع الحنفية أيضاً للإمام أبي الحسين عبد الله بن الحسين بن دلال بن دهم الكرخي (ت 340 هـ)، وشرحه الإمام أبو الحسين أحمد بن محمد القدوري (ت 428 هـ)، والإمام أبو بكر أحمد بن علي المعروف بالخصاص الحنفي (ت 370 هـ) ⁽⁴⁾.

والكتاب وُزع على طلبة الدكتوراة بمعهد القضاء العالي بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، السعودية. وصدرت طبعاته عنها. منذ عام 1426 هـ / 2005 م ⁽⁵⁾.

رابعاً: التقريب: وهما كتابان كلاهما في فروع الفقه الحنفي؛ التقريب الأول جعله في الخلاف بين أبي حنيفة وأصحابه، وهو مجرد من الدلائل، ثم صنف التقريب الثاني فذكر المسائل بأدلتها ⁽⁶⁾.

الخاتمة

بعد بذل الجهد المتواضع في هذا البحث، يجدر بنا أن نقف عند بعض الاستنتاجات، وكالاتي:

1- كان الإمام القدوري البغدادي عالماً بارزاً من أعلام بغداد في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري والنصف الأول من القرن الخامس الهجري. وقد اشتهر بهذه التسمية هذه نسبة إلى القدور، ربما لعمل أحد آبائه بها.

فقهي يعطينا صورة حقيقية متكاملة عن علم الفقه المقارن (علم الخلاف) لدى المسلمين، جمع بين دفتيه أدلة الأحناف ونافع عنها أيما منافحة، وجمع أيضاً أدلة الشافعية، فقد اشتمل على نصوص فقهية للأحناف والشافعية غير موجودة الآن فيما بين أيدينا من كتب للمذهبيين على الرغم من كثرتها، اجتهد القدوري في بيان مذهب كل منها في أهم ما جرى فيه الاختلاف بينهما في الفروع الفقهية، مع استقصاء أدلتها، وردود كل منهما على أدلة الآخر، فهو يعبر بصورة صادقة عن روح التسامح والنقاش العلمي الهادئ بين جميع المذاهب الفقهية التي تميز بها فقهاء المسلمين، وذلك مما تراه في ترحم القدوري على الشافعي وأصحابه، وعدم استخدام ألفاظ عنيفة في الرد عليهم، ولا ألفاظ تهكمية أثناء سرد أدلتهم ⁽¹⁾.

والكتاب يتضمن (32544) من المسائل الفقهية وأدلتها عند الحنفية وغيرهم ⁽²⁾. قال حاجي خليفة ⁽³⁾: «هو في مجلد كبير أوله اللهم اعصمنا من الزلل.. الخ» أفرد فيه ما خالف فيه الشافعي من المسائل بإيجاز الألفاظ وأورد بالترجيح ليشترك المبتدي والمتوسط في فهمه وشرع في املائه سنة خمس وأربعمئة، ثم كتب أبو بكر عبد الرحمن بن محمد السرخسي المتوفى سنة ست وثلاثين وأربعمئة تكلمة التجريد، ولجمال الدين محمود بن أحمد القنوي الحنفي المتوفى سنة سبعين وسبعمئة مختصره المسمى بالتفريد.

تم تحقيقه من قبل: أ. د محمد أحمد سراج .
و: أ.د. علي جمعة محمد، بإشراف
مركز الدراسات الفقهية والاقتصادية، جهة النشر:
دار السلام - القاهرة. وطبع أكثر من مرة، منها:

(4) كشف الظنون، حاجي خليفة، 2/ 1634 .
(5) موقع الكشف (قاعدة تسجيل الرسائل الجامعية)،
<http://thesis.mandumah.com>
(6) يُنظر: كشف الظنون، حاجي خليفة، 1/ 466 .

(1) موقع: <http://daralsalam.com>
(2) ينظر: طبعة دار السلام، القاهرة، 12/ 6563 .
(3) كشف الظنون، حاجي خليفة، 1/ 346 .

المصادر

- 1- الإنشاء في تاريخ الخلفاء: ابن العمراني، محمد بن علي (ت: 580 هـ)، تحقيق: قاسم السامرائي، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 1421 هـ - 2001 م.
- 2- الأنساب: السمعاني، عبد الكريم بن محمد (ت: 562 هـ)، تحقيق: عبد الرحمن بن يحيى المعلمي وآخرون، مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، ط1، 1382 هـ - 1962 م.
- 3- البداية والنهاية: بن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر الدمشقي (ت: 774 هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1408 هـ - 1988 م.
- 4- تاج التراجم: أبو الفداء قاسم بن قُطُوبغا الشبخوني الحنفي (ت: 879 هـ)، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار القلم - دمشق، ط1، 1413 هـ - 1992 م.
- 5- تاريخ الإسلام وَوَفَيَاتِ المشاهير وَالْأعلام: الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد (ت: 748 هـ)، تحقيق: الدكتور بشار عوَّاد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003 م.
- 6- تاريخ الخلفاء: السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت: 911 هـ)، تحقيق: حمدي الدمرداش، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط1: 1425 هـ - 2004 م.
- 7- تاريخ بغداد: الخطيب البغدادي، أحمد بن علي بن ثابت (ت: 463 هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 1417 هـ.
- 8- تجارب الأمم وتعاقب الهمم: مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: 421 هـ)، تحقيق: أبو القاسم إمامي، طهران، ط2، 2000 م.

2- أثنى العلماء على المكانة العلمية التي بلغها القُدُوري فقد كان فقيها صدوقا، يُضرب به المثل لذكائه وحفظه، وانتَهت إليه بالعراق رئاسة أصحاب أبي حنيفة -رحمهم الله- وعظم عندهم قدره وارتفع جاهه، وكان حسن العبارة في النظر، جرى اللسان، مديها لتلاوة القرآن.

3- عاصر القُدُوري ثلاثة من خلفاء بني العباس هم: الطائع لله (ت: 381 هـ)؛ والقادر بالله (ت: 422 هـ). والقائم بأمر الله بن القادر بالله (ت: 467 هـ)، كذلك عاصر عدداً من أمراء وسلاطين بني بويه منهم عز الدولة وعُضد الدولة، وكان القُدُوري على علاقة جيدة بالخلافة العباسية من جهة، وبالْبُوِيَّيْن من جهة أخرى.

4- كان عصره السياسي والاجتماعي والاقتصادي على غير ما يرام، إلا أن الحركة الفكرية في عصره كانت متطورة ومتقدمة. ويشهد لتطور الحركة الفكرية عدد العلماء الذين ظهروا وتوفوا في هذه الحقبة.

5- حظيت كتب الإمام القُدُوري بمكانة متميزة في الأوساط العلمية، واعتمد تدريس كتابه المختصر في الفقه الحنفي في العديد من المناهج الدراسية في المؤسسات العلمية والدينية في العالم الإسلامي، كما اعتمد في بعض الاختبارات للمتقدمين للعمل في الأوساط الدينية.

- 9- الجواهر المضية في طبقات الحنفية: القرشي، محيي الدين عبد القادر بن محمد الحنفي (ت: 775هـ)، الناشر: مير محمد كتب خانة - كراتشي، بلا. ت.
- 10- الجوهر النيرة: الحدادي، أبو بكر بن علي بن محمد الزبيدي اليمني الحنفي (ت: 800هـ)، المطبعة الخيرية، ط1، 1322هـ.
- 11- شذرات الذهب في أخبار من ذهب: ابن العماد، عبد الحي بن أحمد الحنبلي، أبو الفلاح (ت: 1089هـ)، تحقيق: محمود الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ط1، 1986م.
- 12- طبقات الفقهاء الشافعية: ابن الصلاح، عثمان بن عبد الرحمن، (ت: 643هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية - بيروت، ط1، 1992م.
- 13- العبر في خبر من غبر: الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان (ت: 748هـ)، تحقيق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية - بيروت، بلا. ت.
- 14- الكامل في التاريخ: ابن الأثير، عز الدين علي بن أبي الكرم محمد الشيباني (ت: 630هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط1، 1997م.
- 15- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر... (التاريخ): ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد الحضرمي (ت: 808هـ) تحقيق: خليل شحادة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1408هـ - 1988م.
- 16- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: حاجي خليفة، مصطفى بن عبدالله القسطنطيني الرومي الحنفي، (ت: 1067)، دار الكتب العلمية، 1413 - 1992، 1/ 346.
- 17- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ابن الجوزي، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت: 597هـ)، دار صادر - بيروت، ط1، 1358هـ.
- 18- موجز التاريخ .. منذ عهد آدم عليه السلام... إلى عصرنا الحاضر 1417هـ/ 96 - 97م: أحمد معمور العسيري - الرياض، ط1، 1417هـ - 1996م.
- 19- موقع: <http://daralsalam.com>.
- 20- موقع الكشف (قاعدة تسجيل الرسائل الجامعية): <http://thesis.mandumah.com>.
- 21- الوافي بالوفيات: الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله (ت: 764هـ)، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، 1420هـ - 2000م.
- 22- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: ابن خلكان، أحمد بن محمد بن محمد بن إبراهيم (ت: 681هـ)، تحقيق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، بلا. ت.

